من الإيمان بالغيب

الإيمان بفتنة القبر ونعيمه

قال تعالى:

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾

سورة إبراهيم: الآية 27

"القبرُ إمّا روضةٌ مِنْ رياض الجنّة، أو حفرةٌ من حُفَرِ النّار"

حديث نبوي شريف

جمع

عبد الله التليدي

دار الكتب العلمية

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

DKi

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان

Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon

Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

Title : The belief in The Unseen
The belief in The Trial of The grave or its bliss

Classification: Prophetic Sunna
Author : ʿAbdullah al-Talīdi
Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Pages : 96
Size : 14*20
Year : 2011
Printed in : Lebanon
Edition : 1st

الكتاب : من الإيمان بالغيب
الإيمان بفتنة القبر ونعيمه

التصنيف : سنّة نبوية
المؤلف : عبد الله التليدي
الناشر : دار الكتب العلميـــة - بيروت
عدد الصفحات : 96
قياس الصفحات: 20*14
سنة الطباعة : 2011
بلد الطباعة : لبنـــان
الطبعة : الأولى

الآراء والاجتهادات الواردة في هذا الكتاب
تعبّر عن رأي المؤلف وحده
ولا تُلزم الناشر بأي حال من الأحوال

ISBN 978-2-7451-7243-3
ISBN 2-7451-7243-3

بسم الله الرحمن الرحيم

و صلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والحمد لله الذي يوافي نعمه ويكافئ مزيده، والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركا فيه مباركا عليه كما يحب ربنا ويرضى مما لا نهاية له.

والصلاة والسلام الأتمان الدائمتان على أشرف خلق الله وأكرم رسله سيدنا محمد بن عبد الله المطلبي الهاشمي، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار من المهاجرين والأنصار وعلى من اقتفى أثرهم وسلك نهجهم ما دام الليل والنهار.

أما بعد، فقد اختص الخوارج وكثير من المعتزلة والشيعة الروافض(*) عن جماعة أهل السنة بكثير من عقائد

(*) كلامنا في هذا مع هؤلاء الذين لا زالوا يستظلون تحت ظل الإسلام أما أولئك الملاحدة العلمانيون الساخرون بشرائع

متطرفة تخالف عقيدة المسلمين وإجماع الأمة كتضليلهم الصحابة، وقولهم بخلق القرآن، وقول الخوارج بتكفير صاحب الكبيرة واتفاقهم مع المعتزلة بقولهم بخلوده في النار ونفيهم الشفاعة لإخراج العصاة من النار وإنكارهم رؤية الله عز وجل يوم القيامة إلى آخر جريدتهم العفنة..

ومن هذه العقائد التي أنكروها وهي من أهم العقائد الدينية القطعية سؤال القبر وفتنته وعذابه زاعمين أن الأحاديث الواردة في ذلك أخبار آحاد أو ضعيفة، وأن في ذلك إرهاباً للمسلم وإرعاباً له.

وهذه رسالة أقدمها لمن يهمه الأمر أبين فيها أن أحاديث فتنة القبر وعذابه ونعيمه بلغت مبلغ التواتر القطعي ورواها عن النبي ﷺ الجم الغفير من أصحابه رضي الله تعالى عنهم وأنها تقارب الخمسين حديثا كما ترى ووقع

=

الإسلام من السابقين واللاحقين وما أكثرهم في هذا العصر فهم أسقط وأخس من أن نتكلم معهم ونخاطبهم بأدلة الشرع لأنهم صم بكم عمي لا يهتدون ولا يؤمنون.

على ذلك الإجماع من أهل العلم عبر العصور. وأن قولهم: إن في ذلك إرهابا للمسلم هراء وجهالة.

وقبل أن نورد الأحاديث في ذلك مع كلام أهل العلم عليها نقدم أمام ذلك نصوص علمائنا وأئمتنا رحمهم الله تعالى الذين كتبوا وألفوا في العقائد وأصول الدين وأنهم جعلوا فتنة القبر وسؤال الملكين عليهما السلام من العقائد التي يجب اعتقادها والإيمان بها كما في المعتقدات السمعية.

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى المتوفى سنة 150هـ في الفقه الأكبر 192/191 عاطفا على ما يجب اعتقاده والإيمان به: وسؤال الملكين منكر ونكير – عليهما السلام – في القبر حق، وإعادة الروح إلى العبد في القبر حق، وضغطة القبر حق، كائن للكفار ولبعض المسلمين.

قال شارحه العلامة علي القاري رحمه الله تعالى: وقد وردت الأحاديث المتظاهرة في المبني المتواتر في المعنى في تحقيق أحوال البرزخ والعقبى الخ..

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى المتوفى سنة

321هـ في عقيدته المشهورة بالطحاوية عاطفا على ما يجب الإيمان به: " وبعذاب القبر لمن كان له أهلا، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه، ودينه، ونبيه ﷺ، وعن الصحابة رضي الله تعالى عنهم، والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار ".

قال شارحها ابن أبي العز رحمه الله تعالى: " وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه ".

وقال الإمام ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله تعالى المتوفى سنة 386هـ في عقيدة رسالته المشهورة عاطفا على ما يجب اعتقاده: " وأرواح أهل السعادة باقية ناعمة إلى يوم يبعثون، وأرواح أهل الشقاء معذبة إلى يوم الدين، وإن المؤمنين يفتنون في قبورهم ويسألون "، و﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ إبراهيم 27.

قال شارحها العلامة ابن ناجي رحمه الله تعالى:

وخالف الملحدة فأنكروا فتنة القبر، واحتجاجهم بالعيان مضادة لبلوغ الأخبار في ذلك مبلغ التواتر.

وقال سيدي أحمد زروق رحمه الله تعالى في شرحه أيضا: فتنة القبر بالسؤال على الإيمان والتوحيد ونعيمه وعذابه للمستحق ثابت في الأحاديث الصحيحة.

وقال الحافظ أبو محمد علي بن حزم رحمه الله تعالى المتوفى سنة 456هـ، في المحلى مسألة: وأن عذاب القبر حق ومساءلة الأرواح بعد الموت حق.

وقال إمام الحرمين رحمه الله تعالى المتوفى سنة 478هـ، في الإرشاد: فمنها إثبات عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير والذي صار إليه أهل الحق إثبات ذلك فإنه من مجوزات العقول والله مقتدر على إحياء الميت وأمر الملكين بسؤاله عن ربه ورسوله ﷺ وكل ما جوزه العقل وشهدت له شواهد السمع لزم الحكم بقبوله وقد تواترت الأخبار باستعاذة رسول الله ﷺ بربه من عذاب القبر قال: ثم لم يزل ذلك مستفيضاً في السلف الصالح من قبل ظهور أهل البدع والأهواء.

وقال الإمام الحافظ أحمد البيهقي رحمه الله تعالى المتوفى سنة 458هـ، في العقائد باب الإيمان بعذاب القبر ثم ذكر أدلة ذلك كما يأتي لاحقا إن شاء الله تعالى.

وقال أبو حامد حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى المتوفى سنة 505 هـ، في قواعد العقائد من إحياء علوم الدين... بعد كلام: وإنه لا يتقبل إيمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به - يعني النبي ﷺ - بعد الموت، وأوله سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد في قبره سويا ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة، ويقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وهما فتانا القبر، وسؤالهما أول فتنة بعد الموت، وأن يؤمن بعذاب القبر وأنه حق، وحكمه عدل على الجسم والروح على ما يشاء...

وذكر آخر الإحياء فصلا خاصاً قال فيه: باب عذاب القبر وسؤال منكر ونكير عليهما السلام ثم أردف ذلك بما جاء فيه من الأحاديث.

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى

المتوفى سنة بضع وثلاثمائة في الإبانة في أصول الديانة باب الكلام في عذاب القبر، وأنكرت المعتزلة عذاب القبر وقد روي عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة وروي عن أصحابه رضي الله تعالى عنهم وما روي عن أحد منهم أنه أنكره ونفاه وجحده فوجب أن يكون إجماعاً من أصحاب النبي ﷺ.

وقال العلامة النسفي رحمه الله تعالى المتوفى سنة 537 هـ، في عقيدته النسفية: وعذاب القبر للكافرين ولبعض عصاة المؤمنين ونعيم أهل الطاعة في القبر وسؤال منكر ونكير ثابت بالدلائل السمعية. وانظر ما قاله شارحها السعد التفتزاني في شرحه.

وقال السفاريني رحمه الله تعالى في الدرة المضية في عقائد أهل الفرقة الناجية:

و كل ما صح من الأخبار   أو جاء في التنزيل والآثار

مِـن فِتْنَـةِ البَـرْزَخِ والقُبُـورِ   وما أتى في ذا مِن الأمُورِ

قال الشارح: فالإيمان بذلك واجب لثبوته عن النبي

ﷺ في عدة أخبار، يبلغ مجموعها التواتر ثم أورد بعض ما جاء في ذلك.

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى في كتاب الجنة من شرح مسلم تحت ترجمة باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه: اعلم أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر، وقد تظاهرت به الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ من رواية جماعة من الصحابة في مواطن كثيرة، قال: وقد ذكر مسلم هنا أحاديث كثيرة في إثبات عذاب القبر وسماع الموتى قرع نعال دافنيهم وكلامه ﷺ لأهل القليب وسؤال الملكين الميت إلى آخر كلامه.

وقال الإمام الحافظ تقي الدين أحمد ابن تيمية رحمه الله تعالى المتوفى سنة 728 هـ، في عقيدته الواسطية:

(فصل) ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت فيؤمنون بفتنة القبر وعذاب القبر ونعيمه فأما الفتنة فإن الناس يمتحنون في قبورهم فيقال للرجل: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي

الآخرة، فيقول المؤمن: ربي الله والإسلام ديني ومحمد ﷺ نبيي.

قال: وأما المرتاب فيقول: هاه، هاه، لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته فيضرب بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها لصعق ثم بعد هذه الفتنة إما عذاب، وإما نعيم إلى أن تقوم القيامة الكبرى فتعاد الأرواح إلى الأجساد وتقوم القيامة.

وقال الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى المتوفى سنة 751 هـ، في كتابه الروح: فإذا عرفت هذه الأقوال الباطلة فلتعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً ويحصل له معها النعيم أو العذاب ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى.

قال: فأما أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير فكثيرة متواترة عن النبي ﷺ ثم أورد الكثير منها.

وقال اللقاني رحمه الله تعالى في جوهرة التوحيد المشهورة:

سؤالنا ثم عذاب القبر نعيمه واجب كبعث الحشر

قال الشارح: إن سؤال منكر ونكير عليهما السلام إيانا معشر أمة الدعوة مؤمنين ومنافقين وكافرين الخ.

ونصوص العلماء في هذا كثيرة جدا.

وإذ قد فرغنا من إيراد كلام أئمة الإسلام وعلمائه في هذا الموضوع وأنهم متفقون على أن أحاديث فتنة القبر وسؤاله ونعيمه وعذابه متواترة ووقع على مقتضاها إجماع الصحابة رضوان الله عليهم فمن بعدهم عبر الأجيال والعصور فلنتبع ذلك بما جاء في السنة المطهرة مفصلا مبيناً مخرجاً بما لم يتقدم له مثيل فيمن كتب في الموضوع، فنقول بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه:

أنواع أحاديث القبور:

اعلم أن أحاديث هذا الموضوع جاءت عن النبي ﷺ

على أنواع خمسة:

النوع الأول في إخباره ﷺ عن وقوع ذلك وثبوته.

النوع الثاني في أمره ﷺ بالاستعاذة من عذاب القبر..

النوع الثالث في كثرة استعاذته ﷺ منه.

النوع الرابع في أحاديث جاءت عنه ﷺ تؤذن بأسباب عذاب القبر.

النوع الخامس أحاديث جاء فيها عنه ﷺ بيان أسباب النجاة من فتنة القبر وعذابه.

إخباره ﷺ بوقوع سؤال الملكين وفتنة القبر وعذابه ونعيمه

أما النوع الأول فجاء فيه عن النبي ﷺ أربعة عشر حديثا وهي كالتالي:

فعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: " ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ نزلت في عذاب القبر، يقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيي محمد ﷺ " وفي رواية: "إذا قيل له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ " وفي أخرى: "إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ " وفي أخرى عن النبي ﷺ: " إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ فذلك قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ... ﴾.

رواه البخاري في التفسير 450/9 ومسلم في الجنة 204/17 وأبو داود في السنة 4750 والترمذي في التفسير

2918 وابن ماجه 4269 بألفاظ. وقوله تعالى " يُثَبِّتُ اللهُ" التثبيت في الدنيا يكون على الإيمان والعمل الصالح وعلى كلمة التوحيد والشهادة عند الموت، وفي الآخرة عند سؤال الملكين في القبر.

ودل الحديث الشريف على أن عذاب القبر وفتنته... كما جاءت به السنة المطهرة جاء به القرآن الكريم.

وقد أورد البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عدة آيات مستدلا بها على عذاب القبر، فقال في الجنائز 374/3 باب ما جاء في عذاب القبر وقوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ الأنعام 93.

قال أبو عبد الله: الهون هو الهوان والهون الرفق. وقوله جل ذكره: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ التوبة 101، وقوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ غافر 45-46.

قال الحافظ في الفتح معلِّقاً على الآية الأولى: وكان المصنف قدم ذكر هذه الآية لينبه على ذكره في القرآن خلافا لمن رده وزعم أنه لم يردْ ذكره إلا من أخبار الآحاد. وقال على قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝٤٥﴾..الخ قال القرطبي: الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ، وهو حجة في تثبيت عذاب القبر، ونقل عن ابن جرير في قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ الأغلب أن إحدى المرتين عذاب القبر.

ونقل العيني في عمدة القاري 199/8 عن أبي الليث السمرقندي أن الآية تدل على عذاب القبر لأنه ذكر دخولهم النار يوم القيامة وذلك أنه يعرض عليهم النار قبل ذلك غدوا وعشيا الخ.

واستدل الإمام البيهقي في كتابه التوحيد بهاته الآيات التي أوردها البخاري وبها افتتح باب الإيمان بعذاب القبر فانظره ص 107.

أما الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى فذكر كثيرا من آيات القرآن غير ما ذكره البخاري.. فقال في الروح

ص75: وأما الجواب المفصل فهو أن نعيم البرزخ وعذابه مذكور في القرآن الكريم في غير موضع، فمنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ الأنعام 93.

وهذا خطاب لهم عند الموت، وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون أنهم حينئذ يجزون عذابه أهون، ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم: الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ...

ومنها قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ غافر 45-46. فذكر عذاب الدارين ذكراً صريحاً لا يحتمل غيره.

ومنها قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ

لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ الطور 45-47، وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا، وأن يراد به عذابهم في البرزخ، وهو أظهر لأن كثيراً منهم مات ولم يعذب في الدنيا، وقد يقال وهو أظهر أن من مات منهم عذب في البرزخ ومن بقي منهم عذب في الدنيا بالقتل وغيره فهو وعيد بعذابهم في الدنيا والبرزخ.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ السجدة 21، وقد احتج بهذه الآية جماعة منهم عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما على عذاب القبر وفي الاحتجاج بها شيء لأن هذا عذاب في الدنيا يستدعي به رجوعهم عن الكفر ولم يكن هذا مما يخفى على حبر الأمة وترجمان القرآن، لكن من فقهه في القرآن ودقة فهمه فهم منها عذاب القبر فإنه سبحانه أخبر أن له فيهم عذابين أدنى وأكبر فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا فدل على أنه بقي لهم من الأدنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا، ولهذا قال من

العذاب الأدنى ولم يقل: ولنذيقهم العذاب الأدنى فتأمله. وهذا نظير قول النبي ﷺ: " فيفتح له طاقة إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها " ولم يقل: فيأتيه حرها وسمومها فإن الذي وصل إليه بعض ذلك وبقي له أكثره، والذي ذاقه أعداء الله في الدنيا بعض العذاب وبقي لهم ما هو أعظم منه.

ومنها قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ الواقعة 83-96.

فذكر ههنا أحكام الأرواح عند الموت وذكر في أول السورة أحكامها يوم المعاد الأكبر وقدم هذا تقديم الغاية

للعناية إذ هي أهم وأولى بالذكر وجعلهم عند الموت ثلاثة أقسام، كما جعلهم في الآخرة ثلاثة أقسام.

ومنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ الفجر 27-30.

وقد اختلف السلف متى يقال لها ذلك فقالت طائفة: يقال لها عند الموت، وظاهر اللفظ مع هؤلاء فإنه خطاب للنفس التي قد تجردت عن البدن وخرجت منه وقد فسر ذلك النبي ﷺ بقوله في حديث البراء وغيره: فيقال لها اخرجي راضية مرضياً عنك.... وقوله تعالى: ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ مطابق لقوله ﷺ: " اللهم الرفيق الأعلى ".

قال: وإذا أنت تأملت أحاديث عذاب القبر ونعيمه وجدتها تفصيلا وتفسيراً لما دل عليه القرآن الكريم وبالله التوفيق.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت

تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله ﷺ فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً، وأما المنافق أو الكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال له: لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق - بمطراق- من حديد ضربة يصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين " وفي رواية في شأن المؤمن: " فيقال له: هذا كان لك ولكن الله عصمك فأبدلك به بيتا في الجنة فيراه فيقول: دعوني حتى أذهب فأبشر أهلي فيقال له: اسكن ".

رواه البخاري في الجنائز 483/479/3 ومسلم في الجنة 203/17 وأبو داود 3231 والنسائي 83/4 والرواية الثانية عند أبي داود 4752/4751..

وفي رواية لأحمد وأبي داود عنه ﷺ: " إن هذه الأمة تبتلى في قبورها " وباقيه كمعنى ما ذكر.

قوله " قرع نعالهم " أي صوت أثر أحذيتهم في

انصرافهم قوله " بمطارق " أو " بمطراق " في رواية أبي داود: " بين أذنيه " وقوله " الثقلين " هما الإنس والجن.

والحديث دال على وقوع فتنة القبر وسؤاله، وأنه واقع على الكفار والمنافقين ومن شاء الله من الموحدين، وأن المؤمن يوفق فيجيب بما كان يعتقده ويدين الله تعالى به أما الكافر... فلا يهتدي للجواب فيضرب بمرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار تراباً كما جاء في حديث آخر للبراء فيصيح صيحة يسمعه من بين المشرق والمغرب كما في حديث البراء الآتي غير الإنس والجن ولو سمعوا ذلك لصعقوا.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: هو عبد الله ورسوله - ﷺ - أشهد أن لا إله إلا الله وأنه محمدا عبده ورسوله ﷺ فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم فيقول:

أرجع إلى أهلي فأخبرهم فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك، وإن كان منافقا قال: سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله لا أدري فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض: التئمي عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله عز وجل من مضجعه ذلك ".

رواه الترمذي في الجنائز 956 بتهذيبي بسند صحيح على شرط مسلم.

وقوله " أرجع إلى أهلي " جاء عند أحمد 346/331/3 عن جابر عنه ﷺ " إذا رأى المؤمن ما يفسح له في قبره يقول: دعوني أبشر أهلي فيقال له: اسكن" وهي رواية أنس المتقدمة.

وقوله " ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا " هذا من جملة نعيم القبر بالنسبة للمؤمن وفي الحديث عدة بشارات ومزايا له ليست لغيره جعلنا الله تعالى من أهل ذلك بمنه وكرمه آمين وسيأتي مزيد لهذا في حديث البراء.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أيضا أن النبي

ﷺ قال: " إن الميت يصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع ولا مشعوف(*) ثم يقال له: فيم كنت؟ فيقول: كنت في الإسلام، فيقال: ما هذا الرجل؟ فيقول: محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات من عند الله تعالى فصدقناه فيقال له: هل رأيت الله؟ فيقول: لا ينبغي لأحد أن يرى الله(**)... وفيه ثم يفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له: هذا مقعدك، ويقال له: على اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله تعالى" وقال في الكافر ضد ذلك.

رواه ابن ماجة 4268 وسنده صحيح.

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قالت: قام رسول الله ﷺ خطيباً فذكر فتنة القبر التي يفتن بها المرء فضج المسلمون ضجة حالت بيني وبين أن أفهم

(*) قوله ولا مشعوف الشعف شدة الفزع.

(**) قوله لا ينبغي لأحد أن يرى الله يعني في الدنيا لحديث: "واعلموا أنه لن يرى ربكم أحدٌ حتى تموتوا ".

كلام رسول الله ﷺ فلما سكت ضجيجهم قلت لرجل قريب مني: أي بارك الله فيك ماذا قال رسول الله ﷺ في آخر كلامه؟ قال: " قد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور قريباً من فتنة الدجال ".

رواه البخاري 479/3 والنسائي 84/4 كلاهما في الجنائز.

قوله ضجيجهم أي صياحهم وأصواتهم.

وعنها رضي الله تعالى عنها في حديث الكسوف قالت: فلما انصرف رسول الله ﷺ حمد الله وأثنى عليه ثم قال: "ما من شيء كنت لم أره إلا وقد رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار، ولقد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور مثل أو قريباً من فتنة الدجال " لا أدري أيتهما قالت أسماء يؤتى أحدكم فيقال له: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن لا أدري أي ذلك قالت أسماء فيقول: محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات والهدى فأجبناه وآمنا به، فيقال له: نم صالحا فقد علمنا أن كنت لموقناً، أما المنافق أو المرتاب لا أدري أيتهما قالت أسماء فيقول: لا أدري سمعت الناس شيئاً فقلته.

رواه البخاري في العلم رقم 86 وفي الطهارة 184 وفي الجمعة 622 وفي الكسوف 1053 وفي الجنائز 1235 وفي الاعتصام 7287 وأخرجه مسلم في الخسوف 212/211/210/6.

والحديث يدل على أن فتنة القبر عظيمة إذ هي شبيهة بفتنة الدجال عياذاً بالله تعالى.

وعن عثمان رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: "استغفروا لأخيكم ثم سلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل ".

رواه أبو داود في الجنائز بسند صحيح.

وفي الحديث مشروعية الاستغفار للميت والدعاء له بالتثبيت عقب دفنه مباشرة لأنه في تلك الساعة يسأل من طرف الملكين.

وعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله تعالى أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه " ويأتي كاملا لاحقا.

رواه مسلم في الجنة 202/17.

الحديث نص صريح من النبي ﷺ بأن هذه الأمة تمتحن في القبور وذلك هو السؤال كما هو نص في عذاب القبر وأنه ﷺ كان يسمع ذلك ولولا أنه خشي على المسلمين من انزعاجهم منه، وخوفهم مما يسمعون حتى يمنعهم ذلك من دفن بعضهم بعضا لدعى الله عز وجل أن يسمعهم ما كان يسمع ويشاهد.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: " إن الميت ليسمع خفق نعالهم حين يولون قال: ثم يجلس فيقال له: من ربك؟ فيقول: الله ثم يقال له: ما دينك؟ فيقول: الإسلام، ثم يقال له: من نبيك؟ فيقول: محمد ﷺ فيقال: وما علمك؟ فيقول: عرفته آمنت به وصدقته بما جاء به من الكتاب، ثم يفسح له في قبره مد بصره، وتجعل روحه مع أرواح المؤمنين ".

رواه البيهقي وسنده حسن وقد تقدم نحوه.

وعن سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال: " فأما فتنة القبر فبي تفتنون، وعني تسألون، فإذا

كان الرجل الصالح أجلس في قبره غير فزع ولا مشعوف، ثم يقال له: فيم كنت؟ فيقول: في الإسلام، فيقال: ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فيقول محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه ".

الحديث تقدم بنحوه عن أبي هريرة رواه أحمد بسند صحيح.

وعن عثمان رضي الله تعالى عنه أنه كان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي إذا وقفت على قبر، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه " وقال رسول الله ﷺ: " ما رأيت منظراً قط إلا القبر أفظع منه ".

رواه أحمد 64/63/1 والترمذي 2130 بتهذيبي وابن ماجه 4267 كلاهما في الزهد والحاكم 331/330/4 وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الترمذي وهو كما قال.

والحديث يدل على هول القبر وفظاعة منظره أعاذنا الله من فتنته وشره آمين.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: " إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى يوم القيامة ".

رواه أحمد 113/2 والبخاري في الجنائز وفي الرقاق 153/14 ومسلم في الجنة 201/200/17 والترمذي 956 والنسائي 87/4...

وعرض مقعد الإنسان عليه يؤذن بالنعيم أو العذاب فالمرء في البرزخ إما في نعيم وإما في عذاب إلى يوم الدين.

وعن ابن عمر أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: " هذا الذي تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه ".

رواه النسائي 82/4 بسند صحيح على شرط مسلم.

المراد بهذا المذكور في الحديث سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه وتحرك العرش له فرحاً بقدومه لمكانته

السامية عند الله تعالى كما أن شهود ذلك العدد الهائل من الملائكة لحضور جنازته يدل على جلالة قدره وعظيم فضله وهذه مزية لم تعرف لأحد نصا لغيره.

وعن سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال النبي ﷺ: " إن للقبر ضغطة ولو كان أحد ناجيا منها نجا منها سعد بن معاذ ".

رواه أحمد 98/55/6 والطحاوي في مشكل الآثار 107/1 ورجاله ثقات وله شواهد عند الحاكم وغيره بعضها صحيحة.

الحديثان يدلان على أنه لا ينجو أحد من ضغطة القبر، غير أنها تختلف باختلاف الأشخاص، فالمؤمن تكون له كضمة الأم الحنون لولدها، أما غيره فتضمه حتى تختلف أضلاعه، وقد تقدم في حديث أبي هريرة: " فيقال للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه ".

وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس..." فذكر الحديث في قبض

روح المؤمن والكافر ثم قال ﷺ: " فيرد المؤمن إلى الأرض وتعاد روحه في جسده قال: فإنه يسمع قرع نعال أصحابه إذا ولوا عنه مدبرين، فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ فيقولان له: وما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينتهره فيقول: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن فذلك حين يقول الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ فينادي مناد في السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، أبشر برضوان الله تعالى وجنات فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: وأنت بشرك الله بخير من أنت؟ فوجهك الذي يجيء بالخير فيقول: أنا عملك

الصالح فوالله ما علمتك إلا كنت سريعا في إطاعة الله تعالى بطيئا في معصية الله فجزاك الله خيراً ثم يفتح له باب من الجنة، وباب من النار، فيقال: هذا منزلك لو عصيت أبدلك الله به هذا، فإذا رأى ما في الجنة قال: رب عجل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلي ومالي فيقال له: اسكن".

وقال ﷺ في الكافر: " ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري فيقولان له: ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه فيقال محمد ﷺ فيقول: هاه، هاه، لا أدري سمعت الناس يقولون ذلك قال: فيقال له لا دريت ولا تليت، فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فافرشوا له من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: وأنت بشرك الله بالشر من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول له: أنا عملك الخبيث فوالله ما علمت إلا

كنت بطيئاً عن طاعة الله تعالى سريعاً إلى معصية الله فجزاك الله شراً، ثم يقيض له أعمى، أصم، أبكم، في يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان تراباً، فيضربه ضربة حتى يصير بها تراباً، ثم يعيده الله تعالى كما كان، فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين، فيصير تراباً، ثم تعاد فيه الروح، ثم يفتح له باب من النار ويمهد من فرش النار، فيقول: رب لا تقم الساعة ".

رواه أحمد 288/287/4 والطيالسي 743 وأبو داود 4754/3212 والحاكم 40/37/1 بسند صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

ويلاحظ أن اللفظ لأحمد بزيادات 296/295/4.

هذا حديث عظيم وهو أطول وأشمل حديث في مشاهد الموت والقبور وفيه ما ليس في غيره كما لا يخفى.

فهذه أربعة عشر حديثاً كلها صحيحة تخبر بثبوت فتنة القبر وعذابه ونعيمه فهي على حدة تفيد التواتر القطعي الثبوت والدلالة.

أمره ﷺ بالاستعاذة من عذاب القبر

النوع الثاني، وهو أمره ﷺ بالاستعاذة من عذاب القبر وجاء في هذا النوع أيضا ما يلي:

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: " إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع من عذاب جهنم ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال ".

رواه مسلم 87/5، وقد اتفق العلماء والأئمة على مشروعية هذه الاستعاذة في التشهد حتى بالغ ابن حزم رحمه الله تعالى فأوجب ذلك وقال ببطلان صلاة من تركها، وسيأتي هذا من فعله ﷺ أيضا.

وعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه فقال: "تعوذوا بالله من عذاب النار"، قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: " تعوذوا بالله من عذاب القبر " قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: "تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن " قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: " تعوذوا بالله من فتنة

الدجال " قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال.

رواه مسلم 202/17 في الجنة.

فهذا أيضا أمر منه ﷺ بالتعوذ من هذه الأربع التي منها عذاب القبر، وذلك لخطورتها على المسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " عوذوا بالله من عذاب الله، عوذوا بالله من عذاب القبر، عوذوا بالله من فتنة المسيح الدجال، عوذوا بالله من فتنة المحيا والممات ".

رواه مسلم في الدعاء قبل السلام 88/5.

وعن سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها أن يهودية كانت تخدمها فلا تصنع عائشة إليها شيئا من المعروف إلا قالت لها اليهودية: وقاك الله عذاب القبر، قالت: فقلت يا رسول الله هل للقبر عذاب؟ قال: " كذبت يهود لا عذاب دون يوم القيامة "، ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث فخرج ذات يوم نصف النهار وهو ينادي بأعلى صوته: " أيها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر، فإن عذاب القبر حق ".

رواه أحمد 81/6 بسند صحيح على شرط البخاري وهو في الصحيحين بألفاظ كما في التالي.

استعاذته ﷺ من عذاب القبر بكثرة

النوع الثالث، وهو استعاذته ﷺ بنفسه من عذاب القبر بكثرة وحضرني في الساعة أحاديث وهي:

عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن يهودية جاءت تسألها فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رضي الله تعالى عنها رسول الله ﷺ: أيعذب الناس في قبورهم؟ فقال رسول الله ﷺ: " عائذاً بالله من ذلك " ثم ركب رسول الله ﷺ ذات غداة مركباً فخسفت الشمس فرجع ضحى فمر رسول الله ﷺ بين ظهراني الحُجَر ثم قام يصلي وقام الناس وراءه فذكرت صلاته ﷺ في الكسوف ثم قالت في الأخير: ثم أمرهم أن يتعوذوا من عذاب القبر. وفي رواية: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ بالله من عذاب القبر. وفي رواية: فكنت أسمع رسول الله ﷺ بعد ذلك يتعوذ من عذاب النار وعذاب القبر. وفي رواية: قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وعندي امرأة من اليهود وهي تقول: هل شعرت أنكم تفتنون في القبور؟ قالت: فارتاع رسول الله ﷺ وقال:

"إنما تفتن يهود " قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: فلبثنا ليالي ثم قال رسول الله ﷺ: " هل شعرت أنه أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور " قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ بعد يستعيذ من عذاب القبر.

رواه البخاري 191/3 ومسلم 305/6 كلاهما في الكسوف ورواه البخاري في الجنائز 479/3 والرواية الأخيرة رواها مسلم 85/5 في الصلاة.

والظاهر من حديث مولاتنا عائشة هذا أن قصتها مع اليهودية تكررت إن لم يكن حصل تصرف أو سهو من بعض الرواة وعلى أي فالحجة قائمة به فإنه ﷺ أمر بالاستعاذة من القبر وداوم عليه في صلاته.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: " اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال " وفي رواية: كان يدعو في الصلاة: " اللهم...الخ".

رواه البخاري في الجنائز 485/3 ومسلم في باب الدعاء قبل السلام 88/87/5.

وعن أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص أنها

سمعت النبي ﷺ وهو يتعوذ من عذاب القبر.

رواه البخاري في الجنائز 485/3 وفي الدعوات والنسائي في النعوت.

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كان نبي الله ﷺ إذا أمسى قال: " أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب النار وعذاب القبر "، وإذا أصبح قال ذلك أيضا: " أصبحنا وأصبح الملك لله... الخ ".

رواه مسلم في الذكر 43/42/17 والترمذي في الأدعية.

وعن مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يدعو بهؤلاء الكلمات: " اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار، وعذاب النار، وفتنة القبر، وعذاب القبر".

رواه البخاري في الدعوات 432/431/13 ومسلم في

الصلاة 87/5 وفي الذكر 29/28/17 والنسائي في الاستعاذة 233/8 وابن ماجه 3838 والترمذي في الدعوات 3265.

وعن مصعب بن سعد وعمرو بن ميمون قالا: كان سعد يعلم بنيه هؤلاء الكلمات كما يعلم المُكَتِّبُ الغلمان ويقول: إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ بهن دبر الصلاة: "اللهم إني أعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر".

رواه البخاري في الجهاد وفي الدعوات 429/13 والنسائي في الاستعاذة 216/8 والترمذي في الدعوات 3335 بتهذيبي.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ كان يدعو يقول: " اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم والجبن والبخل وفتنة المسيح وعذاب القبر ".

رواه البخاري 434/13 ومسلم 30/29/17 والترمذي 3257 ثلاثتهم في الدعوات.

وفي رواية للبخاري: " اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ".

وعن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: " اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها ".

رواه مسلم في الذكر والدعاء 41/40/17.

وعن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما أنه قال لأبيه: يا أبة إني أسمعك تدعو كل غداة: اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، لا إله إلا أنت، تعيدها ثلاثاً حين تصبح وثلاثاً حين تمسي فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يدعو بهن فأنا أحب أن أستن بسنته. قال: وتقول: اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا

أنت تعيدها ثلاثاً حين تصبح وثلاثاً حين تمسي فتدعو بهن فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يدعو بهن فأنا أحب أن أستن بسنته أو كما قال.

رواه أحمد 42/5 وأبو داود آخر الأدب 590 وسنده حسن.

وعن عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وصلى على جنازة يقول: " اللهم اغفر له وارحمه، واعف عنه وعافه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بماء وثلج وبَرَد، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيرا من داره، وأهلا خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر " أو " من عذاب النار " وفي رواية: " وقه فتنة القبر وعذاب النار " قال عوف: فتمنيت أن أكون أنا الميت لدعاء رسول الله ﷺ على ذلك الميت.

رواه مسلم 31/7 في الجنائز.

فهذه عشرة أحاديث صحاح فيها كلها استعاذته ﷺ من فتنة القبر وعذابه.

أحاديث فيها أسباب عذاب القبر وفتنته

النوع الرابع، أحاديث جاءت عنه ﷺ فيها ذكر أسباب عذاب القبر وفتنته وهي:

السبب الأول: الكفر والعياذ بالله تعالى

عن أبي أيوب رضي الله تعالى عنه قال: خرج النبي ﷺ وقد وجبت الشمس فسمع صوتاً فقال: " يهود تعذب في قبورها ".

رواه البخاري 484/3 ومسلم 203/17.

قوله " وجبت " أي غربت.

وعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: بينا رسول الله ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به وكادت تلقيه وإذا بأقبر ستة أو خمسة فقال ﷺ: " من يعرف هذه الأقبر؟ " قال رجل: أنا قال: " متى ماتوا " قال: في الشرك، فقال: " إن هذه الأمة تبتلى في قبورها.. ".

رواه مسلم 202/17 مطولا وقد تقدم بعضه.

قوله " حادت " أي تنحت.

السبب الثاني والثالث: المشي بالنميمة وعدم التحفظ من البول

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ مر بقبرين فقال: " إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من البول ".

رواه البخاري في الوضوء وفي الجنائز 485/3 وفي الأدب ومسلم في الطهارة، 25/3 وباقي الجماعة.

" يستتر " في رواية " يستبرئ " وفي أخرى " يستنزه " وكلاهما في الصحيح ومعنى الجميع عدم التحفظ والنزاهة من البول.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: " أكثر عذاب القبر من البول ".

رواه أحمد 328/326/2 وابن ماجه 348 والحاكم 183/1 بسند صحيح.

إنما كان هذا أكثر أسباب عذاب القبر لأن عامة الناس لا يتحفظون من البول ولا يستبرئون.

وعن عبد الرحمن بن حسنة رضي الله تعالى عنه أن

رسول الله ﷺ قال: " أما علمت ما أصاب صاحب بني إسرائيل؟ كانوا إذا أصابهم البول قرضوه بالمقاريض، فنهاهم عن ذلك فعذب في قبره ".

رواه أبو داود 22 وابن ماجه 346 كلاهما في الطهارة بسند صحيح.

" المقاريض " جمع مقراض بكسر الميم الآلة الحديدية القاطعة المعروفة، وإنما عذب هذا الإسرائيلي في قبره لأنه نهى عن معروف وواجب وهو التنزه من البول وإذا عذب هذا فالذي لا يتحفظ من البول لا من جسده ولا من ثوبه أولى بالعذاب في القبر من الناهي عياذاً بالله تعالى.

السبب الرابع: الغيبة والكلام في أعراض المسلمين

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: " لما عرج بي مررت بقوم لهم أظافر من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ " قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم.

رواه أحمد 224/3 وأبو داود 4878 بسند صحيح.

" يخمشون " أي يجرحون.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع النبي ﷺ فارتفعت ريح منتنة فقال رسول الله ﷺ: " أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين ".

رواه أحمد 351/3 بسند حسن على رأي ابن كثير والعراقي وغيرهما.

والريح القذرة من الروح في البرزخ لا تكون إلا من أثر عذاب وحريق، فالكلام في أعراض الناس خطير وخطير يوجب عذاب القبر عياذاً بالله من ذلك.

السبب الخامس: السرقة من الغنيمة قبل أن تقسم

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن مولى لرسول الله ﷺ سرق شملة من الغنيمة قبل أن تقسم فأتاه سهم فقتله فقال الصحابة: هنيئاً له الجنة فقال ﷺ: " كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً ".

رواه البخاري في المغازي وفي الأيمان والنذور 404/14 وأبو داود 2711 والنسائي 22/7 ونحوه عن عمر رضي الله تعالى عنه عند مسلم 127/2.

الشملة لباس معروف من ملابس العرب يشتملون به، وإذا كان هذا صحابي بل مولى لرسول الله ﷺ عذب في قبره لسرقته شملة وقد قتل في سبيل الله تعالى فكيف يكون الحال في غيره.

السبب السادس: اختلاس أموال الدولة المسلمة

فعن أبي رافع رضي الله تعالى عنه قال: مررت مع رسول الله ﷺ بالبقيع فقال: " أف لك، أف لك "، فظننت أنه يريدني فقلت: يا رسول الله أحدثت شيئا؟ قال: " وما ذاك؟ " قلت: لأففت مني قال: " لا ولكن صاحب هذا القبر فلان بعثته ساعياً على بني فلان فغل درعاً فَدُرِّعَ الآن مثلها من النار ".

رواه أحمد 392/6 والنسائي 89/2 بسند حسن.

" درع " بضم الدال وكسر الراء المشددة أي ألبس درعاً من النار.

وفي هذا الحديث كالذي قبله أن من مات مصراً على كبيرة لا ينجو من عذاب القبر ولو كان من الصالحين إلا أن يتجاوز الله عز وجل.

السبب السابع والثامن والتاسع والعاشر: النوم عن الصلاة، وافتراء الكذب، والزنا، والتعامل بالربا

فعن سمرة بن جندب رحمه الله تعالى قال: كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه: " هل رأى أحد منكم رؤيا؟ " وإنه قال لنا ذات غداة: " إنه أتاني الليلة آتيان فقالا: انطلق فانطلقت معهما فأخرجاني إلى الأرض المقدسة فأتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر ههنا فيتبع الحجر فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يرجع رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل في المرة الأولى فقلت لهما: سبحان الله ما هذا؟ فقال لي: انطلق فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لقفاه وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد، وإذا هو يأتي بشِقَّيْ وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، ثم يحول إلى الجانب الآخر، فيفعل به مثل ما يفعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصبح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه مثل ما فعل في المرة الأولى، قلت: سبحان الله ما هذان؟ فقالا لي: انطلق فانطلقنا فأتينا على مثل التنور

فإذا فيه لغط وأصوات فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة، فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضووا قلت: ما هؤلاء؟ قالا لي: انطلق فانطلقنا فأتينا على نهر أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل يسبح، وإذا على شط البحر رجل عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ما سبح ثم يأتي الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجرا، فينطلق فيسبح ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجراً " فذكر الحديث وفيه " أن الرجل الأول المضطجع الذي يضرب بالصخرة هو الرجل الذي يقرأ القرآن فينام عنه ويضيع الصلوات المكتوبة وأن الرجل الذي يشرشر شدقه ومنخره وعيناه إلى قفاه هو الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق، وإن الرجل والنساء العراة هم الزناة والزواني، وأن السابح في النهر الأحمر هو آكل الربا ".

رواه أحمد 9/8/5 والبخاري في التعبير 106/99/16 وفي الجنائز مطولا كاملا وأخرج قطعا منه في مواضع كثيرة وأخرج مسلم أوله في الرؤيا 35/15.

قوله " فيثلغ " بمثلثة ومعجمة بوزن يعلم أي يكسر

ويشدخ قوله " يتدهده " أي يتدحرج وقوله " فيشرشر " أي يقطعه شقا قوله " فيفغر " أي يفتح.

والحديث يدل على أن عذاب القبر والبرزخ لمن أراد الله تعذيبه دائم ومستمر إلى قيام الساعة كما تقدم في أحاديث السؤال.

السبب الحادي عشر: البكاء على الميت

فعن ابن عمر قال: قال عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: " إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه ".

رواه أحمد 50/36/26/1 ومسلم 228/6 والنسائي 16/15/4 والترمذي 891 وابن ماجه 1593.

هذا الحديث مقيد ومخصوص بما إذا أوصى الميت أهله بذلك على عادات الجاهلية أو كان ممن يعذب وأهله يبكون عليه أو يكون كما في الحديث التالي.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: " ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول: وا جبلاه، وا سيداه، أو نحو ذلك إلا وكل به ملكان يلهزانه أهكذا كنت؟ ".

رواه أحمد 814/4 والترمذي 892 وابن ماجه 1594 والحاكم وصححه وقال البوصيري في الزوائد: إسناده حسن وهو صحيح لشاهد له عن النعمان بن بشير بل جاء في الصحيح معناه.

وقوله " يلهزانه " أي يضربانه بجمع اليد وهذا يدل على أن عذاب الميت هذا يكون لمن نيح عليه مع الندبة.

فهذه اثنا عشر حديثاً كلها ذكر فيها موجبات عذاب القبر وأسبابه وذلك نقطة من بحر.

فبالجملة كل من مات مصراً على معصية كبيرة بدون توبة، سواء كانت تركا لواجب، أو فعلا لمحرم كبير فهو على خطر عظيم، وسيكون معرضا لعذاب القبر إلا أن يتجاوز الله عز وجل.

وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في الروح جملة من كبار الذنوب والآثام التي توجب عذاب القبر فلنستمع إليها ونتعظ بها:

قال رحمه الله تعالى وإيانا:

فعذاب القبر عن معاصي القلب، والعين، والأذن،

والفم، واللسان، والبطن، والفرج، واليد، والرجل، والبدن كله، فالنمام والكذاب والمغتاب وشاهد الزور وقاذف المحصن والموضع في الفتنة والداعي إلى البدعة والقائل على الله ورسوله ﷺ ما لا علم له به، والمجازف في كلامه، وآكل الربا، وآكل أموال اليتامى، وآكل السحت من الرشوة والبرطيل ونحوهما، وآكل مال أخيه المسلم بغير حق، أو مال المعاهد، وشارب المسكر، وآكل لقمة الشجرة الملعونة، والزاني واللوطي، والسارق، والخائن، والغادر، والخادع، والماكر، وآخذ الربا، ومعطيه، وكاتبه، وشاهداه، والمحلل والمحلل له، والمحتال على إسقاط فرائض الله تعالى، وارتكاب محارمه، ومؤذي المسلمين، ومتتبع عوراتهم، والحاكم بغير ما أنزل الله، والمفتي بغير ما شرعه الله، والمعين على الإثم والعدوان، وقاتل النفس التي حرم الله، والملحد في حرم الله، والمعطل لحقائق أسماء الله وصفاته الملحد فيها، والمقدم رأيه وذوقه وسياسته على سنة رسول الله ﷺ، والنائحة، والمستمع إليها، ونواحوا جهنم وهم المغنون الغناء الذي حرمه الله ورسوله ﷺ

والمستمع إليهم، والذين يبنون المساجد على القبور، ويوقدون عليها القناديل والسرج، والمطففون في استيفاء مالهم إذا أخذوه، وهضم ما عليهم إذا بذلوه، والجبارون والمتكبرون، والمراءون، والهمازون واللمازون، والطاعنون على السلف، والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرافين فيسألونهم ويصدقونهم، وأعوان الظلمة الذين قد باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، والذي إذا خوفته بالله وذكرته به لم يرعو ولم ينزجر، فإذا خوفته بمخلوق مثله خاف وارعوى وكف عما هو فيه، والذي يهدى بكلام الله تعالى ورسوله ﷺ فلا يهتدي ولا يرفع به رأساً، فإذا بلغه عمن يحسن به الظن ممن يصيب ويخطئ عض عليه بالنواجد ولم يخالفه، والذي يقرأ عليه القرآن فلا يؤثر فيه، وربما استثقل به، فإذا سمع قرآن الشيطان ورقية الزنا ومادة النفاق طاب سره وتواجد وهاج من قلبه دواعي الطرب، وود أن المغني لا يسكت، والذي يحلف بالله ويكذب، فإذا حلف بالبندق أو برئ من شيخه أو قريبه أو سراويل الفتوة أو حياة من يحبه ويعظمه من المخلوقين لم يكذب ولو هدد وعوقب،

والذي يفتخر بالمعصية ويتكثر بها بين إخوانه وأضرابه وهو المجاهر، والذي لا تأمنه على مالك وحرمتك، والفاحش اللسان البذيء الذي تركه الخلق اتقاء شره وفحشه، والذي يؤخر الصلاة إلى آخر وقتها وينقرها ولا يذكر الله تعالى فيها إلا قليلا، ولا يؤدي زكاة ماله طيبة به نفسه، ولا يحج مع قدرته على الحج، ولا يؤدي ما عليه من الحقوق مع قدرته عليها، ولا يتورع من لحظة ولا لفظة، ولا أكلة، ولا خطوة ولا يبالي بما حصل من المال من حلال أو حرام، ولا يصل رحمه، ولا يرحم المسكين، ولا الأرملة، ولا اليتيم، ولا الحيوان البهيم، بل يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ويرائي العالمين، ويمنع الماعون، ويشتغل بعيوب الناس عن عيبه وبذنوبهم عن ذنبه.

قال: فكل هؤلاء وأمثالهم يعذبون في قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقلتها وصغيرها وكبيرها..الخ.

وأقول: على قول هذا الإمام مؤاخذات منها إطلاقه التعذيب بهذه المعاصي، والمعذب بها هو الميت المصر عليها ولم يتب ومنها أنه ذكر من جملتها صغائر الذنوب

من اللحظات والفلتات فإن هذه وأمثالها تغفر بمطلق الأعمال الصالحة وباجتناب الكبائر، وبما يلاقيه المسلم من البلايا والأكدار وما أكثرها ومنها ذكره بعض ما اختلف فيه من المعاصي فإن ما اختلفت فيه أنظار العلماء لا يبلغ أن يعذب به المرء في قبره.

أحاديث فيها أسباب النجاة من عذاب القبر وفتنته

النوع الخامس، أحاديث جاءت أيضا عن النبي ﷺ تبشر بالنجاة من فتنة القبر وعذابه وهي كالآتي:

أولا: الشهادة في سبيل الله تعالى

فعن المقدام بن معديكرب رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: " للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه ".

رواه أحمد 131/4 والترمذي 1524 وابن ماجه 2799 كلاهما في الجهاد.

فالقتل في سبيل الله من أسباب النجاة من فتنة القبر وعذابه، وهل يقاس عليه كل شهيد إن فضل الله واسع.

ثانيا: الميت مرابطا في سبيل الله تعالى

فعن سلمان رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول

الله ﷺ يقول: " رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وأن من مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتان ".

رواه مسلم في الجهاد 61/13.

" الفتان " بضم الفاء جمع فاتن وعند أبي داود: " من فتاني القبر " والمراد بذلك من يتولى فتنته من الملائكة عليهم السلام.

وعن فضالة بن عبيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطا في سبيل الله تعالى فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن من فتان القبر " وفي رواية: " ويأمن من فتنة القبر " رواه أبو داود 2500 والترمذي 2486 وحسنه وصححه.

ثالثا: من مات يوم الجمعة أو ليلتها

فعن عبد الله بن عَمرو رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله تعالى من فتنة القبر ".

رواه أحمد رقم 7050/6646/6582 من طرق بعضها صحيحة وله شواهد عن أنس وجابر وغيرهما.

قوله " وقاه " أي حفظه وهذا من خصائص يوم الجمعة وفضائله أماتنا الله تعالى فيه آمين.

رابعا: قراءة سورة تبارك الملك كل ليلة

فعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: يؤتى بالرجل في قبره فتؤتى رجلاه فتقولان ليس لك علي من قبلنا سبيل قد كان يقرأ سورة الملك، ثم يؤتى جوفه فيقول: ليس لك علي سبيل قد كان يقرأ سورة الملك قال عبد الله: فهي المانعة تمنع عذاب القبر. وفي رواية: كنا نسميها في عهد رسول الله ﷺ المانعة، وإنها في كتاب الله سورة من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب.

رواه الطبراني بالروايتين وكلاهما حسنة أو صحيحة انظر مجمع الزوائد 127/7.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: " إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي سورة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ ".

رواه أحمد 321/229/2 والترمذي 2999 وابن ماجه 3786 وابن حبان 1766 والحاكم 595/1 وصححه ووافقه الذهبي. ونحوه عن أنس رضي الله تعالى عنه رواه الطبراني في الأوسط والصغير بسند صحيح.

وهذه السورة لا مفهوم لها، فكل القرآن الكريم له هذه الخصيصة من الشفاعة فإن ما جاء في فضائله جملة وفي فضائل سور خاصة منه كالبقرة وآل عمران ونحوهما وأنه يأتي يوم القيامة يدافع عن صاحبه ويشفع له، وأن الزهراوين يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان تحاجان عن صاحبهما فكل ذلك يدل ضمنياً على نجاة حامل القرآن العامل به في الجملة من عذاب القبر وفتنته.

خامسا: الأعمال الصالحة

فعن أسماء رضي الله تعالى عنها أنها كانت تحدث عن النبي ﷺ قالت: "إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمنا أحف به عمله الصلاة والصيام قال: فيأتيه الملك من نحو الصلاة فترده، ومن نحو الصيام فيرده، فيناديه اجلس قال "فيجلس فيقول له: ما تقول في هذا الرجل يعني النبي ﷺ

قال: من؟ قال: محمد ﷺ قال: أشهد أنه رسول الله ﷺ قال: يقول: على ذلك عشت، وعليه مت، وعليه تبعث".

رواه أحمد 352/6 بسند صحيح.

قوله " أحف به " أي أحاط به.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " والذي نفسي بيده إنه ليسمع قرع نعالهم حين يولون عنه فإذا كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، والزكاة عن يمينه، والصوم عن شماله، وفعل الخيرات، والمعروف والإحسان إلى الناس من قبل رجليه، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ليس قبلي مدخل، فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة ليس قبلي مدخل، ويؤتى من قبل شماله فيقول الصوم ليس قبلي مدخل، ثم يؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات إلى الناس ليس من قبلي مدخل ".

وفي رواية: " فإذا أتي من قبل رأسه دفعته تلاوة القرآن وإذا أتي من قبل يديه دفعته الصلاة، وإذا أتي من قبل رجليه دفعه مشيه إلى المساجد والصبر حجره ".

أورده الهيثمي في المجمع 52/51/3 برواية الطبراني

وقال: إسناده حسن فهذه جملة من الأعمال تمنع صاحبها من فتنة القبر وعذابه، فالمؤمن الموفق في أمان من فتنة القبر إن شاء الله تعالى ولا يهلك على الله إلا هالك.

سادسا: من مات بمرض في أحشائه

فعن سليمان بن صُرَد وخالد بن عُرْفُطة قالا: قال رسول الله ﷺ: " من قتله بطنه لم يعذب في قبره ".

رواه أحمد 262/4 ج292/5 من طرق والترمذي 949 والنسائي 80/4 بأسانيد صحيحة فهذا بالإضافة إلى نجاته من عذاب القبر يعد من الشهداء.

والموت بالبطن المراد به أمراض الأحشاء الداخلية كداء الإسهال مثلا أو مرض في كبد، أو كلية أو معدة أو ذات الجنب وما إلى ذلك من الأدواء وهذا من فضل الله تعالى على عباده ولطفه بالمؤمنين منهم.

سابعا: محبة الله تعالى الصادقة ومعرفته التامة

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان صبي على ظهر الطريق فمر النبي ﷺ ومعه ناس فلما رأت أم الصبي القوم خشيت أن يوطأ ابنها فسعت فحملته فقالت: ابني،

ابني، فقال القوم: يا رسول الله ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار، فقال النبي ﷺ: " والله لا يلقي حبيبه في النار ".

رواه الحاكم 58/1 وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

فالله عز وجل لا يعذب جسداً فيه روح تحبه المحبة الصادقة وتعرفه كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى: فلا يعذب الله روحاً عرفته وامتثلت أمره واجتنبت نهيه، ولا بدنا كانت فيه أبداً، فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على عبده، فمن أغضب الله تعالى وأسخطه في هذه الدار ثم لم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه...

وفي ترجمة السيدة العابدة رابعة العدوية رحمها الله تعالى أنه كان من مناجاتها: إلهي لا تحرق بالنار قلبا يحبك؟ فهتف بها هاتف: ما كنا نفعل هذا أو لا تظني بنا السوء.

فهذه تسعة أحاديث ذكر فيها ما يوجب النجاة من فتنة القبر وعذابه فإذا أضيفت إلى ما سبق من الأحاديث كان

جملتها تسعاً وأربعين حديثاً كلها صحيحة أو حسنة تفيد القطع والجزم بفتنة القبر وعذابه ونعيمه فمن أنكرها لم يكن من المسلمين لأنه أنكر شيئاً متواتراً مقطوعاً به وبطل بذلك قول الملاحدة القائلين بأن أحاديث فتنة القبر... أخبار آحاد أو أحاديث ضعيفة.

وقائع ومشاهد تكشف عن أحوال الموتى

ويزيد ما تقدم من الأحاديث قوة ما ورد من كثرة الوقائع، والأخبار والمنامات الكاشفة عن أحِوال الأموات بعذاب أو نعيم، وانتفاع الأموات بما قد يصلهم من دعاء واستغفار، وصدقة، وصيام، وحج، وتلاوة، وغير ذلك من أعمال الخير والبر.

ما وقع في اليقظة من مشاهدة أو سماع العذاب

عن عمارة بن عمير رحمه الله تعالى قال: لما جيء برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه نضدت في المسجد في الرحبة فانتهيت إليهم وهم يقولون: قد جاءت قد جاءت، فإذا حية قد جاءت تخلل الرؤوس حتى دخلت في منخري عبيد الله بن زياد فمكثت هنية ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت، ثم قالوا: قد جاءت قد جاءت ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً.

رواه الترمذي 3552 بتهذيبي وحسنه وصححه وعبيد الله بن زياد هذا كان عاملا لمعاوية بالعراق ثم لابنه يزيد وهو الذي بعث الجيش لقتال سيدنا الحسين ابن الإمام

علي عليهما السلام وقد انتقم الله تعالى منه ومن أذنابه على يد ابن الأشتر وذلك جزاء المعتدين وعذب بهذه الحية بمشاهدة الناس وهو لا يزال لم يقبر بعد عياذاً بالله تعالى.

ومنها ما روي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: خرجت مرة بسفر فمررت بقبر من قبور الجاهلية فإذا رجل قد خرج من القبر يتأجج ناراً في عنقه سلسلة من نار ومعي إداوة من ماء فلما رآني قال: يا عبد الله اسقني إذ خرج على أثره رجل من القبر فقال: يا عبد الله لا تسقه فإنه كافر ثم ضربه بالسوط ثم أخذ السلسلة فاجتذبه فأدخله القبر، قال: فلما قدمت على رسول الله ﷺ أخبرته فنهى أن يسافر الرجل وحده.

رواه ابن أبي الدنيا فيمن عاش بعد الموت.

ومنها ما ذكره أيضا بسنده إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه قال: كنت فيمن تولى الوليد بن عبد الملك في قبره فنظرت إلى ركبتيه قد جمعتا إلى عنقه فاتعظ بها عمر بعده.

ومنها ما ذكره ابن رجب في الأهوال، والسيوطي في

شرح الصدور عن ابن أبي الدنيا بسنده إلى عبد المؤمن بن عبد الله الضبي قال: قيل لنباش قد تاب: ما أعجب ما رأيت؟ قال: نبشت رجلا فإذا هو مسمر بالمسامير على سائر جسده، ومسمار كبير في رأسه، وآخر في رجليه.

وذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في الروح قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن مساب السلامي التاجر وكان من خيار عباد الله قال: جاء رجل إلى سوق الحدادين ببغداد فباع مسامير صغاراً المسمار برأسين فأخذها الحداد وجعل يحمى عليها فلا تلين معه حتى عجز عن ضربه فطلب الذي باعها فوجده فقال: من أين لك هذه المسامير؟ قال: لقيتها فلم يزل به حتى أخبره أنه وجد قبراً مفتوحا وفيه عظام ميت منظومة بهذه المسامير قال: فعالجتها على أن أخرجها فلم أقدر فأخرجت حجراً فكسرت عظامه وجمعتها قال: وأنا رأيت تلك المسامير قلت له: فكيف صفتها؟ قال: مسمار صغير برأسين.

قال ابن القيم: وقيل لنباش: ما أعجب ما رأيت قال: رأيت جمجمة إنسان مصبوب فيها رصاص.

وقال أيضا: حدثنا أبو عبد لله بن محمد الحراني أنه خرج من داره بآمد بعد العصر إلى بستان فلما كان قبل الغروب توسط القبور، وإذا قبر منها جمرة نار مثل كور الزجاج والميت وسطه قال: فسألت عن صاحب القبر فإذا هو مكاس توفي ذلك اليوم وأورده أيضا ابن رجب والسيوطي.

وذكر الثلاثة أيضا عن الحافظ شرف الدين الدمياطي في معجمه قال: سمعت محمد بن إسماعيل بن هبة الله الدمياطي يقول: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن عبد الله الثعلبي صاحب السلفي يقول: كان عندنا رجل نباش يتكفف الناس أعمى وكان يقول: من يعطيني شيئاً فأخبره العجب ثم يقول: من يزيدني فأريه العجب قال: فأعطي شيئاً وأنا إلى جانبه أنظره فكشف عن عينيه فإذا بهما قد نفذتا إلى قفاه كالأنبوبتين النافذتين يرى من قبل وجهه ما وراء قفاه ثم قال: أخبركم أني كنت في بلدي نباشاً حتى شاع أمري فأخفت الناس حتى ما أبالي بهم، وإن قاضي البلد مرض مرضاً خاف منه الموت فأرسل إلي وقال: أنا

أشتري هتكي في قبري منك وهذه مائة دينار مؤمنية فأخذتها فعوفي من ذلك المرض ثم مرض بعد ذلك ثم مات، وتوهمت أن العطية للمرض الأول فجئته فنبشته فإذا في القبر حس عقوبة، والقاضي جالس ثائر الرأس محمرة عيناه كالسكرجتين فوجدت زمعاً في ركبتي وإذا بضربة في عيني من أصبعين وقائل يقول: يا عبد الله أتطلع على أسرار الله عز وجل.

وذكر المقريزي في تاريخه أنه في سنة تسع وتسعين وسبعمائة قدم البريد بأن رجلا من الساحل ماتت امرأته فدفنها وعاد فتذكر أنه نسي في القبر منديلا فيه مبلغ دراهم فأخذ فقيه القرية ونبش القبر ليأخذ المال والفقيه على شفير القبر فإذا المرأة جالسة مكتوفة بشعرها ورجلاها أيضا قد ربطتا بشعرها فحاول حل كتافها فلم يقدر فأخذ يجهد نفسه في ذلك فخسف به وبالمرأة إلى حيث لم يعلم لهما خبر فغشي على فقيه القرية منذ يوم وليلة، فبعث السلطان بخبر هذه الحادثة وما كتب من الشام فيها إلى الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد فوقف عليه وأراه الناس ليعتبروا بذلك.

وذكر ابن حجر الهيثمي رحمه الله تعالى في الزواج عن عبد الله ابن المديني قال: كان لنا صديق فقال: خرجت إلى ضيعتي فأدركتني صلاة المغرب فأتيت إلى جنب مقبرة فصليت المغرب قريباً منها فبينما أنا جالس إذ سمعت من جانب القبور أنيناً فدنوت إلى القبر الذي سمعت منه الأنين وهو يقول: آه، قد كنت أصوم، قد كنت أصلي، فأصابتني قشعريرة فدعوت من حضرني فسمع مثل ما سمعت ومضيت إلى ضيعتي ورجعت في اليوم التالي وصليت في موضعي الأول وصبرت حتى غابت الشمس وصليت المغرب ثم استمعت إلى ذلك القبر فإذا هو يئن ويقول: آه، قد كنت أصلي، قد كنت أصوم،... فرحت إلى منزلي ومرضت بالحمى شهرين.

قال ابن حجر: وأقول: قد وقع لي نظير ذلك، وذلك أني كنت وأنا صغير أتعاهد قبر والدي رحمه الله تعالى للقراءة عليه فخرجت يوما بعد صلاة الصبح بغلس في رمضان بل أظن أن ذلك في العشر الأخير بل في ليلة القدر، فلما جلست على قبره وقرأت شيئا من القرآن.. فإذا

أنا أسمع التأوه العظيم والأنين الفظيع بآه، آه، آه وهكذا بصوت أزعجني من قبر مبني بالنورة والجص له بياض عظيم فقطعت القراءة واستمعت فسمعت صوت ذلك العذاب من داخله، وذلك الرجل المعذب يتأوه تأوها عظيما بحيث يقلق سماعه القلب ويفزعه فاستمعت إليه زمناً فلما وقع الإسفار خفي حسه عني، فمر بي إنسان فقلت: قبر من هذا؟ قال: هذا قبر فلان لرجل أدركته وأنا صغير وكان على غاية من ملازمة المسجد والصلوات في أوقاتها والصمت عن الكلام، وهذا كله شاهدته وعرفته منه فكبُر علي الأمر جداً لما أعلمه من أحوال الخير التي كان ذلك الرجل متلبساً بها في الظاهر فسألت واستقصيت الذين يطلعون على حقيقة أحواله فأخبروني أنه كان يأكل الربا، فإنه كان تاجراً ثم كبر وبقي معه شيء من الحطام.

قال ابن حجر: فلما قلت ذلك لبعض أهل بلده قال لي: أعجب من هذا عبد الباسط رسول القاضي فلان وهذا رجل أعرفه أيضا كان رسولا للقاضي أول أمره ثم صار ذا ثروة فقلت: وما شأنه؟ قال: لما حفرنا قبره لننزل عليه ميتا

آخر رأينا في رقبته سلسلة عظيمة، ورأينا في تلك السلسلة كلباً أسوداً عظيماً مربوطا معه في تلك السلسلة وهو واقف على رأسه يريد نهشه بأنيابه وأظفاره فخفنا خوفاً عظيماً وبادرنا برد التراب في القبر قال: وحفرنا لفلان فخرجت لنا حية عظيمة من قبره ورأيناها مطوقة به فأردنا دفعها عنه فتنفست علينا حتى كدنا كلنا نهلك عن آخرنا. انتهى كلام الهيثمي.

وذكر سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله تعالى عنه في العهود المحمدية عن شيخه سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه أن شخصاً من القضاة كان يؤذي سيدي إبراهيم المتبولي وينكر عليه وكان القاضي سيىء الخلق فلما مات تطور خلقه السيِّيء كلبا أسوداً فجلس على نعشه والناس ينظرون إلى أن نزل معه القبر.

وكل ما أوردناه وقع في اليقظة.

أما ما رؤي من المنامات فكثير أيضا

ذكر ابن رجب في الأهوال وغيره أن زبيدة زوجة هرون الرشيد رؤيت في المنام فأخبرت أنها غفر لها وكان

على وجهها أثر صفرة فسئلت عن ذلك فقالت: دفن عندنا بشر المريسي فزفرت جهنم زفرة أصابنا منها ذلك.

والمريسي هذا كان من رؤوس المبتدعة الملحدين كما هو معروف.

وذكر غير واحد عن إبراهيم التيمي رحمه الله تعالى قال: كنت كثير التردد إلى المقابر أذكر الموت والبلى فبينما أنا ذات ليلة بها إذ غلبتني عيناي فرأيت قبراً قد انشق وسمعت قائلا يقول: خذوا هذه السلسلة فاسلكوها في فيه وأخرجوها من دبره وإذا الميت يقول: يا رب ألم أكن أقرأ القرآن؟ ألم أحج بيتك الحرام؟ وجعل يعدد أفعال البر شيئاً بعد شيء، وإذا قائل يقول: كنت تفعل ذلك ظاهراً فإذا خلوت بارزتني بالمعاصي ولم تراقبني.

أقول: هذا وأمثاله محمول على من مات مصراً على الكبائر أما التائب فلا يعذب وكذا المؤمن صاحب الصغائر فإنها تغفر له باجتناب الكبائر وبالأعمال الصالحة.

وذكر سيدي عبد الوهاب الشعراني قدس الله سره في لطائف المنن أنه رأى في منامه كأنه نزل تحت الأرض

فرأى أهل القبور على أحوال شديدة فمنهم من رأى عنده كلباً عقوراً يعضه ويكشر عليه، ومنهم من رأى عنده ثعباناً، ومنهم من رأى عنده عقرباً، ومنهم من رأى عنده ذئبا، ومنهم من رأى عنده تمساحاً، ومنهم من رأى عنده هرة، ومنهم من رأى عنده فئراناً، ومنهم من رأى عنده بعوضا، ومنهم من رأى عنده بقاً، ومنهم من رأى عنده قملاً، ومنهم من رأى عنده براغيث قال: فسألت الملائكة الذين هناك عن أصل هذه المؤذيات التي تطورت في قبورهم على هذا التفصيل فقيل: هي غيبة ونميمة وسخرية بالناس، وسوء ظن، ونحو ذلك..

وذكر أستاذنا سيدي أحمد الصديق رحمه الله تعالى في جؤنة العطار أنه لما كان معتقلا بآزمور رأى ليلة رجلا من معارفه وكان قاضيا بالدار البيضاء أيام الاستعمار كأنه توفي وقد أضرم عليه قبره ناراً ووضع في جسده سفافيد من حديد وهو يتقلب في تلك النار ظهراً لبطن فاستيقظ مرعوباً قال: فكتبت إليه رسالة نخبره فيها بالرؤيا وأمرته بتقوى الله تعالى والاستقالة من وظيفته فلم يفعل وبعد ثلاثة أشهر من

الرؤيا جاءنا نعيه وتوفي على حالته نسأل الله تعالى السلامة والعفو والعافية آمين.

وأنا عبد ربه أعرف رجلا توفي منذ عقود كان محافظا على الصلوات الخمس والعبادة ظاهراً، وفي آخر حياته وكان قد جاوز السبعين من عمره انقلبت أوضاعه فصار يطعن في رجلين من أهل العلم والشرف والتصوف ويسخر منهما ويتكلم فيهما علانية ولما توفي رأى بعض أولاده كأنه يبحث عنه فانتهى إلى باب زنزانة فوجد عند بابها رجلا فسأله عن والده فقال له: إن والدك عندنا مسجون فلا يمكنك مقابلته فألح عليه واستعطفه ففتح له الباب قال: فجيء به يجر في السلاسل وأثر الحريق والعذاب بائن عليه قال: فتراءينا ثم ردوه وأقفلوا عليه باب الزنزانة.

وكنت رأيت بعض الصالحين الأموات وسألته عنه وكان لا يزال على قيد الحياة فقال: إنه من أهل النار عافانا الله تعالى آمين.

وكان لي صديق حبيب علي صحبنا مدة طويلة ثم تغيرت أحواله والتحق ببعض الجماعات وقاطعني وجعل

يطعن في عرضي عند جماعته ولما توفي وكان ذلك بسبب حادثة سير رأيته في المنام وعليه أثر العذاب والقيح والصديد يسيلان من عينيه فقلت له: فلان قال: نعم، قلت: ما شأنك؟ قال: عذبوني في قبري وقالوا لي: كنت شاذلياً فانقلبت إلى كذا وكذا ثم قال: الكلام في أعراض الناس قبيح ولا سيما في أمثالكم.

هذا بعض ما يتعلق بالكشف عن الأموات المعذبين في قبورهم من طريق المشاهدة أو طريق المنام.

منامات تكشف عن نعيم وسعادة في القبر والبرزخ

رؤي الحافظ أبو العلاء الهمداني بعد موته وهو في مدينة جدرانها وحيطانها كلها كتب، فسئل عن ذلك فقال: سألت الله تعالى أن يشغلني بالعلم كما كنت أشتغل به فأنا أشتغل بالعلم في قبري.

ورؤي أبو بكر بن مجاهد أحد القراء رحمه الله تعالى كأنه يقرأ فقيل له: مت وتقرأ؟ فقال: كنت أدعو الله تعالى في دبر كل صلاة وعند ختم القرآن أن يجعلني ممن يقرأ في قبره.

وفي ترجمة الحافظ يزيد بن هرون رحمه الله تعالى أنه رؤي في المنام فقيل له: ما فعل الله تعالى بك؟ هل أتاك منكر ونكير عليهما السلام؟ قال: إي والله وسألاني: من ربك؟ وما دينك؟ وما نبيك؟ قال: فقلت: ألمثلي يقال هذا وأنا كنت أعلم الناس بهذا في دار الدنيا فقالا لي: صدقت فنم نومة العروس لا بؤس عليك.

ورؤي الحافظ أبو زرعة رحمه الله تعالى بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: لقيت ربي فقال لي: يا أبا زرعة إني أُوتَى بالطفل فآمر به إلى الجنة فكيف بمن حفظ السنن على عبادي؟ تبوأ من الجنة حيث شئت.

ولنكتف بهذا فإن هذا باب واسع وقد ذكرت في المبشرين بالجنة مائة مبشرة منامية.

منامات تكشف عن بعض المعذبين الذين خفف الله عنهم العذاب أو غفر لهم بهدايا الأحياء ودعواتهم

وذكر القرطبي في التذكرة وابن القيم في الروح عن بعضهم أنه مات له قريب فرآه في المنام فقال له: ما كان حالك حين وضعت في قبرك؟ قال: أتاني آت بشهاب من

نار فلولا أن داعيا دعا لي لرأيت أنه سيضربني به.

وذكر القرطبي أن امرأة جاءت إلى الحسن البصري رحمه الله تعالى فقالت: إن ابنتي ماتت وأحببت أن أراها في المنام فعلمها شيئاً فرأتها وعليها لباس القطران والغل في عنقها والقيد في رجلها فارتعدت لذلك فأعلمت الحسن فاغتم عليها فلم تمض مدة حتى رآها الحسن في المنام وهي في الجنة على سرير وعلى رأسها تاج فقالت له: يا شيخ أما تعرفني؟ قال: لا، فقالت: أنا تلك المرأة التي علمت أمي الصلاة فرأتني في المنام قال: فما سبب أمرك؟ قالت: مر بمقبرتنا رجل فصلى على النبي ﷺ وكان في المقبرة خمسمائة وستون إنسانا في العذاب فنودي ارفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل على النبي ﷺ.

وذكر الهيثمي في الزواجر عن صالح المزني قال: نمت ليلة جمعة بمقبرة فرأيت الأموات خرجوا من قبورهم وتحلقوا ونزلت عليهم أطباق مغطاة وفيهم شاب يعذب فتقدمت وسألته فقال: لي والدة جمعت النوادب فأنا أعذب بذلك فلا جزاها الله عني خيرا وبكى ثم أمرني أن أذهب

وأعلمني محلها وأن أناشدها ترك هذا العذاب العظيم الذي تسببت له فيه فلما أصبحت ذهبت إليها ورأيت عندها تلك النوادب ووجهها قد اسود من كثرة اللطم والبكاء فذكرت لها ذلك المنام فتابت وأخرجت النوادب وأعطتني دراهم أتصدق بها عنه فأتيت المقبرة ليلة الجمعة على عادتي وتصدقت عنه بتلك الدراهم فنمت فرأيته وهو يقول لي: جزاك الله عني خيراً أذهب الله عني العذاب ووصلتني الصدقة فأخبر أمي بذلك فاستيقظت وذهبت إليها فوجدتها ماتت فحضرت الصلاة عليها ودفنت بجنب ولدها. وهذه الرؤيا تدل كما قدمنا على أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه بالنياحة والندبة.

وذكر الشعراني رحمه الله تعالى عنه في العهود المحمدية أن شخصا كان يصيح في قبره كل ليلة في مقبرة برهمتوش بالشرقية فأخبروا بذلك الشيخ محمد بن عنان فمضى إليه وقرأ عنده سورة الفاتحة وتبارك الملك وسأل الله تعالى أن يشفعه فيه فمن تلك الليلة ما سمع له صياح.

وذكر في المنن أن أخاه الشيخ أفضل الدين رحمه الله

تعالى رأى بعض أصحابه الذين ماتوا على خير وعلم وصلاح أن كلباً أسود أحمر العينين يكشر عليه في قبره فصار كلما يطرده عنه يرجع فاستيقظ وأخبر بذلك بعض خواص أصحابه فشق عليهم ذلك فصاروا يمشون إلى قبره كل يوم ويقرؤون القرآن ويهدون ذلك في صحائفه مدة فجاءهم في المنام وقال: جزاكم الله خيراً في شفاعتكم في، ولكن هتكتموني بين الناس، فوالله إن هتكي عند الناس أشد علي من تعذيبي بذلك الكلب.

في هذه القصة والتي قبلها ما يشهد للقائلين بانتفاع الأموات بقراءة القرآن وثوابها وفي ذلك أخبار كثيرة ووقائع عديدة.

وقد ذكر القرطبي في التذكرة عن الحافظ عبد الحق الإشبيلي رحمه الله تعالى قال: حدثني أبو الوليد إسماعيل ابن أحمد عرف بابن أقرنب وكان هو وأبوه صالحين معروفين قال: مات أبي رحمه الله تعالى فحدثني بعض إخوانه ممن يوثق بحديثه قال: زرت قبر أبيك فقرأت عليه حزباً من القرآن ثم قلت: يا فلان هذا قد أهديته لك فماذا

لي؟ قال: فهبت علي نفحة مسك غشيتني وأقامت معي ساعة ثم انصرفتُ وهي معي.

قال: ورأيت لبعض من يوثق به قال: ماتت لي امرأة فقرأت في بعض الليالي آيات من القرآن فأهديتها لها ودعوت الله عز وجل واستغفرت لها وسألت فلما كان في اليوم الثاني حدثتني امرأة تعرفها وتعرفني قالت لي: رأيت البارحة فلانة في النوم في مجلس حسن في دار حسنة، وقد أخرجت لي أطباقاً من تحت سرير كان في البيت، والأطباق مملوءة قوارير أنوار فقالت لي: هذا أهداه لي صاحب بيتي وما كنت أعلمت بذلك أحداً.

ونقل السيوطي رحمه الله تعالى في شفاء الصدور عن الخلال في جامعه قال: أخبرني الحسن بن الهيثم قال: سمعت أبا بكر بن الأطروس ابن بنت أبي نصر التمار يقول: كان رجل يجيء إلى قبر أمه يوم الجمعة فيقرأ سورة "يس" فجاء في بعض أيامه فقرأها ثم قال: اللهم إن كنت قسمت لهذه السورة ثواباً فاجعله في أهل هذه المقابر، فلما كان في الجمعة التي تليها جاءته امرأة فقالت: أنت فلان

ابن فلانة قال: نعم قالت: إن بنتاً لي ماتت فرأيتها جالسة على شفير قبرها فقلت: ما أجلسك ههنا؟ قالت: إن فلان ابن فلانة جاء إلى قبر أمه فقرأ سورة " يس " وجعل ثوابها لأهل المقابر فأصابنا من روح ذلك أو غفر لنا أو نحو هذا.

وأقول: فالأموات كما ينتفعون بالصدقة والاستغفار والدعاء... بالإجماع كذلك ينتفعون بالقرآن الكريم ولذلك قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه الروح: وقد ينقطع عنه - أي الميت - العذاب بدعاء أو صدقة أو استغفار أو ثواب حج أو قراءة تصل إليه من بعض أقاربه أو غيرهم.

قال: إن الميت ينتفع بأمرين مجمع عليهما بين أهل السنة من الفقهاء وأهل الحديث والتفسير أحدهما ما تسبب الميت فيه في حياته، والثاني دعاء المسلمين واستغفارهم له والصدقة والحج.

قال: واختلفوا في العبادة البدنية كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر فذهب الإمام أحمد وجمهور السلف إلى وصولها وهو قول بعض أصحاب أبي حنيفة ثم ذكر

باقي المذاهب وأدلتها ثم قال: وأما قراءة القرآن وإهداؤها له تطوعاً بغير أجرة فهذا يصل إليه كما يصل ثواب الصوم والحج، قال: ولا فرق بين وصول ثواب الصوم... وبين وصول ثواب القراءة والدعاء والقائل إن أحداً من السلف لم يفعل ذلك قائل ما لا علم له به فإن هذا شهادة على نفي ما لم يعلمه فما يدريه أن السلف كانوا يفعلون ولا يشهدون من حضرهم عليه.

قال: وسر المسألة أن الثواب ملك العامل، فإذا تبرع به وأهداه إلى أخيه المسلم أوصله الله تعالى إليه، فما الذي خص من هذا الثواب قراءة القرآن وحجر على العبد أن يوصله إلى أخيه.

قال: وهذا عمل سائر الناس المنكرين في سائر الأعصار والأمصار، من غير نكير من العلماء. انتهى كلام ابن القيم من الروح ص 117/89.

وهذا الذي حققه ابن القيم هو مذهب شيخه الإمام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى.

وقال القرطبي في التذكرة ص 85 أصل هذا الباب الصدقة التي لا اختلاف فيها فكما يصل الميت ثوابها

فكذلك تصل قراءة القرآن والدعاء والاستغفار إذ كل ذلك صدقة. وقال أيضا: ولا يبعد في كرم الله عز وجل أن يلحقه ثواب القراءة والاستماع جميعاً ويلحقه ثواب ما يهدى إليه من قراءة القرآن وإن لم يسمعه كالصدقة والدعاء والاستغفار كما ذكرناه، ولأن القرآن دعاء واستغفار وتضرع وابتهال وما يتقرب المتقربون إلى الله تعالى بمثل القرآن ثم ذكر عن الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام أنه كان لا يقول بوصول ثواب القرآن إلى الأموات ولما توفي رآه بعض أصحابه في النوم فقال له: إني رجعت عما كنت أقول في القرآن لما رأيت من كرم الله تعالى في ذلك.

وأقول: وهكذا كان عندنا بطنجة رجل من أهل العلم شديد الإنكار على قراءة القرآن للأموات وحصل بذلك فتن كثيرة من العامة فلما توفي رآه بعض أهل العلم في النوم وكان قد أهدى إليه ثواب سورة من القرآن فقال له: جزاك الله خيراً فقد وصلتني هديتك.

ونقل غير واحد عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنه قال: إذا دخلتم المقابر فاقرؤوا بفاتحة الكتاب والمعوذتين

وقل هو الله أحد واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم.

وقال الإمام ابن قدامة رحمه الله تعالى في المغنى شرح الخرقي في مذهب الإمام أحمد إنه – أي قراءة القرآن على الأموات – إجماع المسلمين، فإنهم في كل عصر ومصر يجتمعون ويقرؤون القرآن ويهدون ثوابه إلى موتاهم من غير نكير.

ورجحه واختاره النووي رحمه الله تعالى فقال في شرح المهذب: فيستحب لزائر القبور أن يقرأ ما تيسر من القرآن ويدعو لهم عقبها نص عليه الشافعي واتفق عليه الأصحاب.

وقال في الأذكار: قال الشافعي والأصحاب: يستحب أن يقرؤوا عنده شيئاً من القرآن قالوا: فإن ختموا القرآن كله كان حسناً قال: وروينا في سنن البيهقي – يعني الكبرى – 57/56/4 بإسناد حسن أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما استحب أن يقرأ على القبر بعد الدفن أول سورة البقرة وخاتمتها.

وقال في شرح مسلم من كتاب الإيمان: وذهب جماعة من العلماء إلى أنه يصل إلى الميت ثواب جميع العبادات من الصلاة والصوم والقراءة وغير ذلك.

وقال البغوي رحمه الله تعالى في شرح السنة على حديث القبرين: وفيه دليل على أنه يستحب قراءة القرآن على القبور لأنه أعظم من كل شيء بركة وثواباً ونقله الحافظ في الفتح وأيده واستحب عمله والإكثار منه.

ونقل الحافظ السيوطي رحمه الله في شفاء الصدور عن الحافظ شمس الدين المقدسي: أن المسلمين ما زالوا في كل عصر يجتمعون ويقرؤون لموتاهم من غير نكير فكان ذلك إجماعاً.

والمقصود من هذا كله أن الوقائع والمرائي فيما يتعلق بالأموات معذبين ومنعمين هي مؤيدة لما أوردناه من الأحاديث.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وهذه الأخبار وأضعافها وأضعاف أضعافها مما لا يتسع لها هذا الكتاب مما أراه الله سبحانه لبعض عباده من عذاب القبر ونعيمه عياناً.

وأما رؤية المنام فلو ذكرناها لجاءت عدة أسفار.

أما قول أولئك المبتدعة: أن اعتقاد فتنة القبر... يلزم منه إرهاب الناس وتخويفهم... فهذا قول جاهل بالإسلام ومبادئ أصوله وأحكامه، أفلا يعلم أولئك الهلكى الخاسرون أن شريعة الإسلام جاءت بالترغيب والترهيب، وأن الخوف والرجاء سوطان لله عز وجل يسوق بهما إليه عباده فهما في الإسلام كجناحي الطير فكما أن الطير لا يطير إلا بجناحيه فإن فقد أحد جناحيه سقط إلى الأرض كذلك المؤمن لا يصح له دينه إلا مع الخوف والرجاء فمن لا خوف له لا دين له فمن اقتصر على الرجاء كان ضالا مبتدعاً من جملة المرجئة الذين يقولون لا يضر مع الإيمان شيء وهذا ضلال ومروق من الإسلام.

وكأن هؤلاء لا يقرؤون القرآن الكريم أفلا يرون أن الله عز وجل قلما يذكر سورة منه إلا ويذكر آية في التخويف وبجانبها أختها في الترغيب والتبشير فإذا ذكر عز وجل الجنة ونعيمها أتبعها بذكر النار وسلاسلها وأغلالها وإذا ذكر الكفار والمنافقين والظلمة والفاسقين وما أعد لهم من

جحيم وحميم... ذكر عباده المؤمنين المتقين وما سيعطون من حفاوة وإكرام وخير ونعيم فليقرأ أولئك الملاحدة على سبيل المثال قوله تعالى أول سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ البقرة 2-5، ثم أتبع ذلك بالكفار وعذابهم العظيم فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ البقرة 6-7، ثم ثلث بالمنافقين الخبثاء المفسدين وأفاض في ذكر صفاتهم فقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ البقرة 8، مروراً بقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ..........﴾ إلى قوله عز وجل: ﴿.......... وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠﴾ البقرة 10ـ20.

وقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٨﴾ البقرة 38، ثم قال في

المنحرفين تخويفاً للمؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ البقرة 39.

وقوله جل علاه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ النساء 150-151، ثم قال في المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَـٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ النساء 152.

وقوله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ يونس 7-8، ثم ذكر مقابلهم فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾ يونس 9، وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ

ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ يونس 26-27.

وقوله عز وجل: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ الحجر 49-50.

وقوله جل علاه: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ الكهف 29، ثم قال في الجانب الآخر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾ الكهف 30-31.

وقوله جل ثناؤه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ طه 74، ثم قال في أهل السعادة: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ طه 75-76.

وقوله عز وجل: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾ طه 111، ثم قال في الصالحين: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ طه 112.

وقوله جل علاه: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ السجدة 18-20.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ الزخرف 67.

وقوله جل علاه: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ﴾ الشورى 21-22 ثم قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ الشورى 23.

وهكذا ترى الله عز وجل يجمع بين الترهيب والترغيب والخوف والرجاء ليكون المؤمن معتدلا كما ذكر عز وجل في صفة الأنبياء حيث قال: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ الأنبياء 90، وقال في صفة المؤمنين الصادقين: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (١٥) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦)﴾ السجدة 15-16.

وقال في المتهجدين بالليل: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)﴾ الزمر 9.

ومثل ما جاء في القرآن الكريم جاء في السنة المطهرة فكان النبي ﷺ يجمع في إرشاداته ومواعظه للصحابة بين الخوف والرجاء فتارة يخوفهم ويأتي بما يرعبهم ويزعجهم وتارة يأتيهم ببشارات وما يسرهم وما يحملهم على الرجاء ورحمة الله تعالى وعفوه.

وقد جاء في حديث لأبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن

رسول الله ﷺ قال: " لما خلق الله الجنة قال لجبريل عليه السلام: اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ثم حفها بالمكاره ثم قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب ثم نظر إليها ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، فلما خلق الله النار قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فحفها بالشهوات، ثم قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها فإذا هي يركب بعضها بعضا فذهب فنظر إليها فقال: أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها ".

رواه أحمد 332/2 وأبو داود في السنن 4744 والترمذي في صفة الجنة 2377 والنسائي في الكبرى 121/3 وحسنه الترمذي وصححه.

ففي هذا الحديث الشريف ترغيب وترهيب وخوف ورجاء وبذلك تستقيم حالة المسلم يرجو رحمة الله تعالى ويخاف عذابه ليحمله ذلك على طاعته عز وجل أمراً ونهياً.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " لو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الرحمة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار ".

رواه البخاري في الرقاق ومسلم في التوبة، والمقصود من الحديث أن لا يكون مفرطا في الرجاء فيترك الأعمال اعتماداً على الإيمان المجرد فيكون من المرجئة القائلين: لا يضر مع الإيمان شيء، ولا يكون مبالغا في الخوف مفرطا فيه حتى ييأس من رحمة الله وذلك من كبار الذنوب أو يكون مثل الخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد صاحب الكبيرة في النار بل يكون كما قال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ الإسراء 57.

وقد دخل رسول الله ﷺ على شاب وهو في سياق الموت فقال ﷺ: " كيف تجدك؟ " قال: يا رسول الله أرجو الله وإني أخاف ذنوبي فقال رسول الله ﷺ: " لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف ".

رواه الترمذي في الجنائز وابن ماجه في الزهد من حديث أنس وسنده حسن.

فالمسلم لا بد له في سلوكه مما يخوفه ويرعبه من زواجر القرآن والسنة كما أنه لا بد له مما يبشره ويحمله على رجاء فضل الله ورحمته وبذلك يستقيم، وعلى أي فالمؤمن الموفق الصالح في أمن وأمان من فتنة القبر وعذابه فما بعده من الأهوال... وإنما يفتن في قبره ويعذب فيه وفي سعير جهنم من لقي الله تعالى وهو عليه غضبان من الكفرة والجبابرة والظلمة والفسقة المنهمكين في الذنوب والآثام المصرين على مخالفة أوامر الله ونواهيه والاستهانة بحدوده والمهدي من هداه الله، والسعيد من وفقه الله عز وجل، ومن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه وحزبه أبد الآبدين

فهرس المحتويات